سلسلة

وَمَضَات إعجازيّة مِنَ القُرآن والسُّنّة النّبويّة

(٨)

الكتاب الثّامن

الحيوانات والحشرات

الدكتور المهندس

خالد فائق العُبيدي

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل وأشرف رسله وأنبيائه سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذا هو لقاؤنا الثامن معكم في سلسلتنا (ومضات إعجازية)، لنتكلم فيه عن السبق القرآني في مجال مهم آخر وهو عالم الحيوان وأسراره.

كان للسبق القرآني والنبوي في هذا العلم، ولرحمة نبي الإسلام ﷺ ورفقه بالحيوان الحديث العجب مما سنذكر، بل إن إحدى المعجزات التي كانت وراء سلامة المصطفى ﷺ ورفيق دربه أبي بكر الصديق ﷺ في غار ثور أثناء هجرتهما، حمامة في عشها وعنكبوت ناسج خيوطه على باب المغارة موهت على الكافرين ومنعتهم من الحصول على غايتهم الدنيئة بقتله ﷺ ورفيقه.

ذكرت حشرات وحيوانات عديدة في الكتاب العزيز شرحنا بعضها في كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، من أوجه عدة تتعلق بعلوم الحيوان، وكذلك الاستفادات الهندسية والتطبيقية من موادها في حياتنا العملية. ولكننا نفصل أكثر فيما يتعلق بالسبق القرآني في عالم الحيوان حصراً في كتابنا هذا.

إن ورود سور مباركة عديدة تحمل أسماء النحل والنمل والعنكبوت والأنعام والفيل والبقرة، وضرب أمثلة عديدة بالذباب والبعوض والطيور بأنواعها كالهدهد والغراب والجوارح والأسماك والحيتان وغيرها وكذلك بالنسبة للحيوان كالإبل والكلب والخنزير وغيرها، لتأكيد من الله تعالى على أهمية هذا العالم الواسع عالم الحيوان والحشرات.

وكما هو متوقع يسبق القرآن الكريم علمنا التطبيقي الحديث في تفاصيل علمية غاية في التعقيد في علوم البيطرة والتشريح الحيواني، ما كان لنا أن نتوصل إليها لولا التطور التقني الهائل في أجهزة الرصد والفحص، فكيف يمكن أن تكون موجودة قبل ١٤ قرناً من الزمان؟، إنه الكون المقروء، كتاب الله المعجز – القرآن المذهل – كما سماه أحد علماء الرياضيات الأمريكان الذي أسلم.

الفصل الأول

التقسيم القرآني للحيوانات

اهتم كل من القرآن الكريم والسنة المطهرة بالحيوانات بمختلف تصانيفها جاعلاً من أسماء بعضها أسماءً لسور في القرآن الكريم. كما وصرّح القرآن الكريم بأن هذه المخلوقات إنما هي أمم كأمم البشر ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾، (الأنعام: ٣٨). والدابة لغة: هي كل ما يدب على الأرض بحركة أو تدب فيه الحياة سواء أكان يعيش في البحر وأعماقه، أو في البر وآفاقه، فوق السطح وتحته من حشرات وحيوانات مختلفة.

سبق القرآن الكريم التقسيم الحديث للحيوان أو ما يعرف بالتصنيف العلمي لعالم الحيوان الذي قسم الحيوانات إلى فصائل وعوائل وأصناف متفرقة من زواحف وفقريات وحشرات وذوات أرجل ولبائن وغير ذلك من تصانيف، تدبر قول الله تعالى:

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾، (النور: ٤٥). فالدابة كما أسلفنا هي كل ما يدب أو يتحرك على الأرض، وكلمة (كل) تشمل جميع الأنواع، فيكون الله تعالى هو خالق كل المخلوقات ومنها هذه الأصناف العديدة، وليس كما يزعم أصحاب نظرية التطور المتهتكة علمياً من أن الأنواع تطورت من تلقاء نفسها(*).

كما وأن القرآن الكريم تطرق لمخلوقات غير مرئية من حشرات وفيروسات وميكروبات وغيرها، وهو ما يقع ضمن قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الحاقة)، فالأداة (ما) تفيد للعاقل وغيره، والحيوان يدخل ضمنها... كما وأن قوله تعالى في سورة النحل التي تحمل اسم حشرة النحل المهمة ﴿ ...وَيَخْلُقُ مَا لَا

(*) لنا عودة لموضوع التطور هذا وكيف أن نظرية التطور أصبحت من دواعي الشك بعد أن كانت من دواعي اليقين في أول عهدها في الكتاب العاشر من هذه السلسلة (الوراثة والاستنساخ).

تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: من الآية ٨) يؤكد هذه الحقيقة.

هذا إذا علمنا أن كل النشاطات الحيوية الملحوظة والمراقبة في عصر التطور التقني والمعلوماتي لجميع الكائنات البرية والبحرية من بشر وحيوان ونبات بكل أصنافها لا تشكل سوى ١٠٪ فقط من مجموع أنماط الحياة في كوكبنا الفريد، ذلك أن ٩٠٪ من أنماط الحياة موجودة في أعماق البحار الغائرة في عمقها والتي تحفها الظلمات لعدم وصول ضوء الشمس إليها لعمقها، فقد توصل العلماء إلى حقيقة عظمة وتنوع هذا العالم الغريب بمخلوقاته التي لا تعيش على الضوء بل تنتجه هي، ولا يضرها الضغط العالي والحرارة الرهيبة الخارجة من طبقات الأرض وصدوعها وسموم الأعماق بل تحولها جميعاً بكيميائيات جسمها إلى مركبات تفيد غيرها من المخلوقات. هذه الحقائق توصل إليها العلماء بعد أن كانوا يعتقدون عكس ذلك تماماً.

التقسيم القرآني للمواد:

لقد قسم القرآن الكريم المواد بأسلوب سبق به العلم الحديث، فالمعادن والفخاريات واللدائن والخلائط كلها مذكورة في الكتاب العزيز وكما بينا في الكتاب الثاني من هذه السلسلة.

اللدائن هذه هي المواد ذات الأصل الهايدروكاربوني أي المتكونة من الهيدروجين والكربون بصورة رئيسية وهي المواد العضوية التي يشكل كيميائيات الحيوان وكذلك النبات أصل معظمها ومنها الإنزيمات والهرمونات والدهون والزيوت والأصباغ والأخشاب والمطاط والألياف وغيرها وكلها مذكورة في القرآن والسنة المطهرة.

إذا تدبرنا بعض آيات الذكر الحكيم كما في الآية (١٦٤) من سورة البقرة، لعلمنا أهمية نعمة الحيوان والنبات ليس فقط في الغذاء والأمور المعروفة وإنما أهميتها في المحافظة على التوازن البيئي وحياة البشر، حتى أصبحت اليوم من أهم العناصر التي يعتمد عليها في ثورة المواد والهندسة الجزيئية التي غيرت حياة الإنسان الحديث تغييراً كبيراً.

يقول الله ﷻ ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾، (البقرة: ١٦٤).. فتسلسل أهمية النبات والحيوان هنا جاء بعد أهمية خلق السموات والأرض وأهمية الليل والنهار وأهمية البحار والسفن فيها، فإن كان صحيحاً أن تسلسل النعم حسب أهميتها في الآية[1]، فنقول أن نعمة النبات والحيوان تأتي بالمرتبة الرابعة والخامسة وهذا ما يجعلنا نتساءل أكثر هل أن هذه النعم يقصد بها الطعام والزينة والأملاك فقط؟، هذا ما سنحاول التوصل إليه.

لنعد الآن إلى تقسيمات المواد، وكيف أن القرآن الكريم قد شملها جميعاً فكان السبق له، ولكن ليس من مكتشف.. لقد نبأنا الله ﷻ في آيات عديدة عن أنعمه وأفضاله التي لا تعد على الناس ومنها بل ومن أهمها تسخير الأنعام من أنواع الحيوانات الأليفة كالإبل والضأن والماعز والبقر وكذلك الطيور المختلفة وكذلك النباتات والحيوانات المختلفة بالإضافة إلى الأنعم الأخرى كالماء والأرض والحجر وغيرها.

ولم يكتف القرآن الكريم بذكر الأصناف من المواد التي كانت واضحة التأثير على الناس حتى في زمن نزول القرآن، لكنه أشار إلى المواد التي سيكون تأثيرها مستقبلاً كاللدائن مثلاً.. اسمع قول الله ﷻ فيها:

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾، (النحل).

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾، (النحل: ٦٦).

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ

---

(١) وهو ما يعرف في علوم القرآن بعلم المناسبة وكذلك علم السياق والسباق للآيات.. راجع كتابنا (القرآن منهل العلوم)، الملحق (٢).

حِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾، (النحل: ٨٠).

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾، (المؤمنون).

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾، (يس). ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾، (غافر).

هذا فضلاً عن سورة كاملة باسم (سورة الأنعام) وآيات غيرها أخرى تحمل كلمة الأنعام وكل مشتقاتها تصل إلى (٣٢ آية).. لو تأملنا الآيات أعلاه لرأينا أننا يمكن أن نحصر الفوائد المرجوة من الأنعام حسب الآيات بما يلي:

١- الملبس والدفء (ملابس صوفية وجلدية وغيرها).
٢- الأثاث والمتاع (الخيمة والأرائك وغيرها).
٣- الأكل والشرب(اللحم والألبان والسمن وغيرها).
٤- الأحمال والركوب (للسفر والتنقل).
٥- الأملاك (ثروة لمالكها).
٦- الجمال والزينة (للتمتع بها).
٧- "منافع" وفي الآية الأخرى "منافع كثيرة".

وفي النقطة الأخيرة يكمن الإعجاز، وهنا لا أريد أن أقول أن قوله ﷻ ﴿ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا ﴾ أو قوله ﷻ ﴿ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ ﴾ تحمل في طياتها استخدام جلود المواشي في أثاث السيارات أو غيرها من الفوائد التي عرفت حديثاً لئلا أُتهم بأني أحشر الآيات حشرا مع ما وصلنا إليه، ولكني أتساءل لماذا يذكر الله ﷻ لهم المنافع وفي آية أخرى ﴿ مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ ﴾.بعد أن عدد لنا كل ما يمكن الاستفادة منه في الأنعام في ذلك الوقت؟، أليس هذا جديراً بالبحث؟، ثم ما تلك المنافع؟.

قد يقول أحدنا أن المنافع نقصد بها جر المحراث من قبل الدواب وأعمالاً أخرى مفيدة في وقت نزول الآية، ولكني أجيب حسناً لماذا كلمة ﴿ كَثِيرَةٌ ﴾؟.. أن هذه الكلمة ليست زائدة حاشا لله بل هي الإعجاز بعينه فقد ثبت كما بينا أن البوليمرات الطبيعية كالإنزيمات والبروتينات والألياف النباتية والأغشية والجلود تعتبر مورداً أساسياً في الصناعة الحديثة، بل حتى روث الأنعام استخدم كسماد ودخل في صناعات عديدة ومنها الأدوية[1].. وان أكل الحيوان للنبات مهم للتوازن الطبيعي بل ولا تكاد تكون هنالك صناعة دون دخول البوليمرات الطبيعية المحورة أو الصناعية المقلدة للطبيعة فيها.

ومن خلال تتبعنا للآيات أعلاه وفهمنا الشمولي لجميع معاني الفوائد التي أوردتها الآيات ومنها كلمة (كثيرة)، بإمكاننا أن نفهم أهمية النبات والحيوان التي أولاها الكتاب العزيز والتي توضحت لدينا في أواسط ونهاية القرن العشرين الميلادي فقط، والله أعلم.

---

(١) راجع كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، الباب الثالث، الفصل الثاني، ففيه سردنا نصوص كل تلك البحوث التي بينت هذه الفوائد.

الفصل الثاني

الحشرات

١- الذباب:

قال رسول الله ﷺ ((**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فامقلوه (أي اغمسوه) فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء**))... وقد أثبتت البحوث الطبية أن أحد جناحي الذباب يحمل نوعاً من الفطريات التي تفرز أحياناً مضادة شديدة المفعول هي الكارامايسين (Garamycin) ضد الجراثيم البروسنتاريا والتيفوئيد والباراتيفوئيد والكوليرا والتيتانيوس والتراكوما والسل وكلها أمراض فتاكة يتسبب الذباب في نشرها[1].

وإذا أخذنا إعجازاً آخر يخص الذباب أيضاً، فلنستمع إلى قول الله تعالى في سورة (الحج: ٧٣) :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾، لاحظ التحدي القرآني في كون أن الذباب إذا ما أخذ شيئاً من طعام أو صحة لا يمكن استرجاعها منه. وقد يقول قائل لماذا اختار الذباب هنا؟، وكيف لا يمكننا استرجاع طعام بعد التهامه من قبل أي حيوان أو إنسان، والمعلوم أن الفترة الزمنية بين الالتهام والهضم تمكن المشرح من أن يجري عملية للملتهم ويستخرج الطعام قبل هضمه؟.

---

(١) هذا الحديث بالذات كان محل استهزاء الكثير من الأوساط العالمية ومنها الإسلامية، وقد استغلت الأوساط المعادية للإسلام هذا -الحديث للتشهير بالإسلام ورسوله ودفعت إلى كبار علماء بايولوجيا الحشرات المكافآت الكبيرة والجوائز المغرية لنشر بحوث تدل على -عكس ما جاء به الحديث، فماذا كانت النتيجة؟.. كانت النتيجة أن العالم الألماني الذي كُلف بهذا الأمر اكتشف فعلاً أن في جناح الذبابة بكتريا تمنع إصابة الذبابة بالجراثيم التي تحملها وتحول هذا الاكتشاف إلى بكتريا تخمر الحليب وحصل من جرائه على جائزة نوبل. ومنذ ذلك الوقت عرفت الخميرة بالمفهوم العلمي الحديث. وقد قامت ألمانيا بتقنين هذا الحديث منذ العام ١٩١٧م وتحويل الاكتشاف إلى دواء تباع العلبة منه بـ ٨٠٠ مارك ألماني فقط.

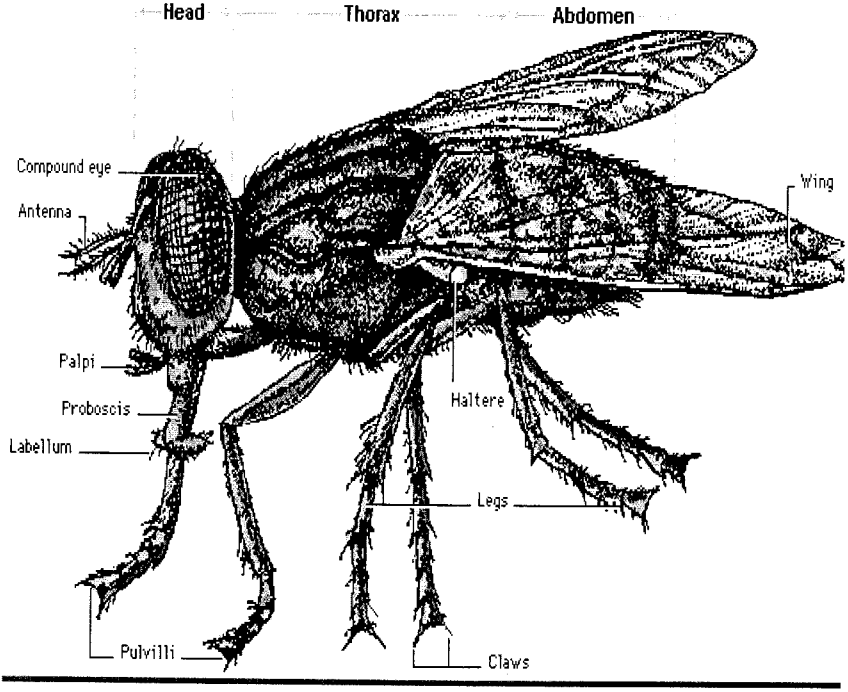

تفاصيل عن جسم الذبابة –لاحظ الخرطوم–

لقد اكتشف الباحثون أن ذباب الفاكهة هو أنسب كائن حي لعمل التجارب عليه وأنه إذا أخذ شيئاً مثل حبة السكر مثلاً فإنه يسكب عليه العديد من الإنزيمات عبر خرطومه والتي تحوله إلى شيء آخر وهو في مكانه أي قبل أن يمتصه ويدخله في أحشائه فلا يمكننا بعد ذلك من استرجاعه وإعادته إلى سابق عهده لأنه قد تحلل قبل أن يلتهم ويدخل الأحشاء، أي أنه لا يمكن الحصول عليه مرة أخرى ذلك لأن فيه غدداً لعابية طويلة جداً أطول من الذباب نفسه عدة مرات[1].

٢- النمل:

وهنالك لغة النمل التي أثبت القرآن وجودها في قصة سيدنا سليمان عليه السلام الذي أعطاه الله قابلية التخاطب والتفاهم مع الحيوان حيث تكلمت النملة مع جماعتها محذرة إياهم من جيش سليمان عليه السلام فتبسم لقولها وحمد الله وشكره على هذه النعمة والفضل، وهو تفسير مختصر لما هو مذكور في القرآن الكريم في سورة النمل. وهذا النص

(١) الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم. د. سليمان عمر قوش، ص٧٣.

القرآني هو أول إشارة في التأريخ البشري تذكر أن للنمل لغة يتخاطب بها:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾، (النمل).

وقد أثبت العلم الحديث أن للحيوانات والحشرات كالنحل والنمل لغات خاصة بها[1].

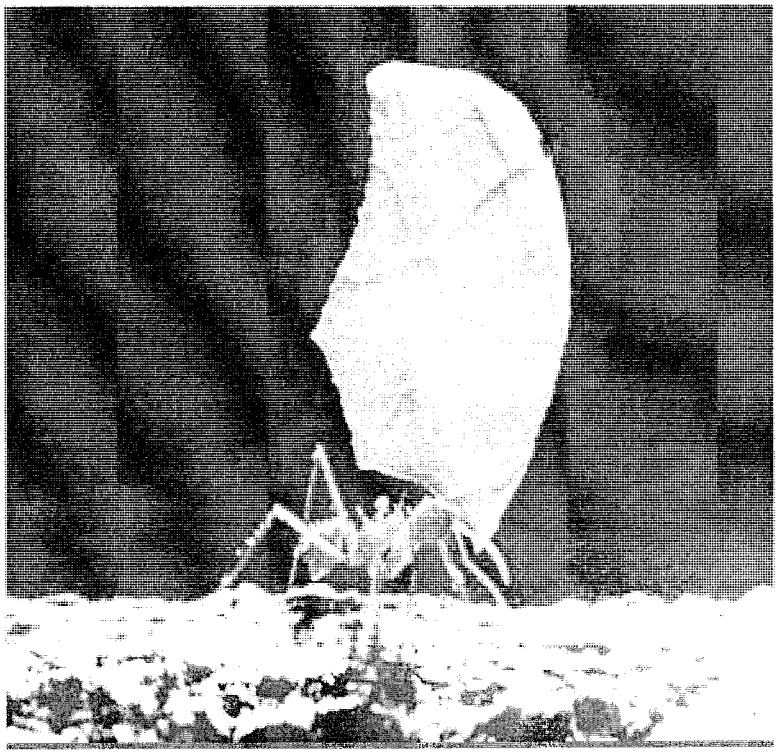

النمل له لغة مخاطبة كما أثبتت التجارب العلمية الحديثة، وسبقها القرآن الكريم

(١) مقالة الدكتور عبد اللطيف أبو السعود، العربي، العدد ٢٨٥، لسنة ١٩٨٢، ص١١٨.

٣- العنكبوت:

يقول الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾، (العنكبوت: ٤١). نلاحظ أن الوهن هنا لم يقصد به وهن المادة المكونة للبيت أي بمعنى آخر الشبكة العنكبوتية - كما يهيأ للبعض - ولكن الوهن هنا هو الوهن الاجتماعي والتفكك الأسري لبيت العنكبوت حيث سيطرة الأنثى على الذكر، وكيف أن نظام هذه الأسرة المسيطر عليها من قبل الأنثى مفكك لهذا الحد الذي لا يصدق.

لقد أثبت العلم الآن بالقياس أن خيط العنكبوت الحريري أقوى من مثيله من الصلب بثلاث مرات وأكثر منه مرونة[1].. هذا الخيط يحمل أوزانا أكبر منه بعشرات المرات فيكون نسيج العنكبوت بالنسبة لاحتياجات العنكبوت وافياً بالغرض وزيادة ويكون بالنسبة له قلعة أمنية حصينة، وهذا أيضاً من ضمن تصنيفات العلم الحديث للمواد إذ يصف نسيج العنكبوت ضمن مجموعة البوليمرات أو اللدائن الطبيعية، فقد فصل القرآن المواد مثل المعادن كالحديد والذهب والفضة والنحاس وكذلك الفخاريات كالصخر والجبال والصلصال والطين وغيرها بالإضافة إلى مجموعة اللدائن ومن ضمنها خيط العنكبوت وبيوت النحل وغيرها.

وينسج العنكبوت نسيجه أو بيته لأغراض عديدة فبعض العناكب ينسج بيوته بغرض حماية الذرية في أكياس مصنوعة من خيوط حريرية وتقوم بنسج غرف الحضانة لذريتها وغرف الرقاد في فصل الشتاء وأخرى غرف للزواج وغرف للوليمة التي تكون عادة إما ذبابة أو أي حشرة أخرى. وقد قام فريق من العلماء بمراقبة أنواع من العناكب فوجدوا أن لها قدرات فائقة في العمليات الإنشائية عند تشييد بيوتها من لحظة اختيار الموقع إلى عملية تحديد زوايا قوائم إلى تجهيز دعائم البيت. والعناكب فصائل وأجناس وأنواع مختلفة وذلك لاختلافها في الشكل والسلوك والعادات، ويترافق مع هذا كله

---

(١) انظر كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، الباب الثاني، الفصل الخامس.. وانظر كتاب (القرآن محاولة لفهم عصري)، للأستاذ مصطفى محمود، ص٢٧٢.

اختلافات في بيئة المعيشة والظروف الحياتية، ومن أشهر أنواع العناكب الأرامل السوداء والعناكب الذئبية وعناكب الماء والعناكب الجارية والعناكب الوثابة[١].

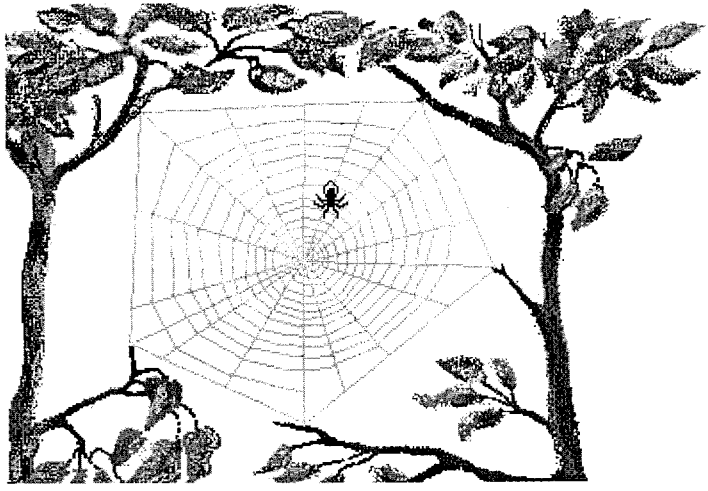

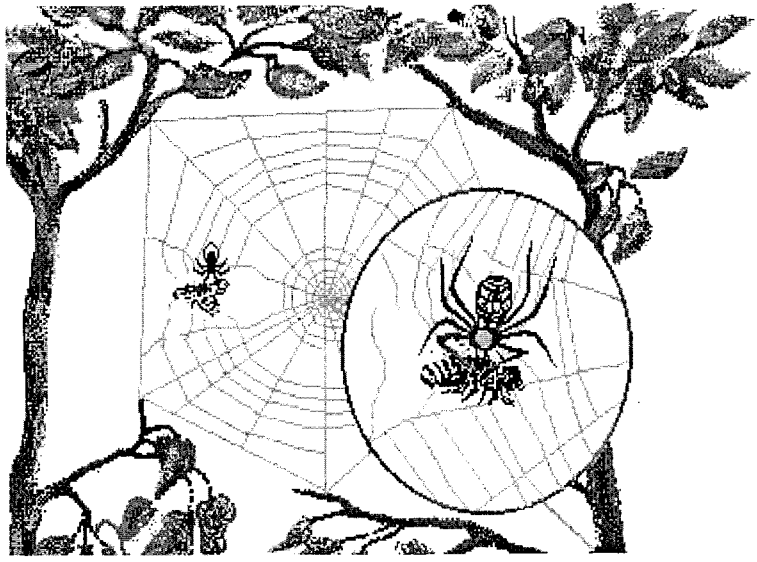

أشكال توضح طريقة نسج العنكبوت لبيته

وصيده لفرائسه

الحقيقة الثانية هي أن العلم كشف مؤخراً أن أنثى العنكبوت هي التي تنسج

(١) برنامج "المعجزة الخالدة"، الجزء الأول، العلوم البيولوجية، قرص مدمج، ١٩٩٨.

البيت وليس الذكر وهي حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة أيام نزول القرآن وإذا ما لاحظنا الآية الكريمة ﴿ ...ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ... ﴾، وتاء التأنيث الساكنة دلالة على الأنثوية أي أن الأنثى هي التي تكون مسؤولة عن اتخاذ البيت وإدارة شؤونه. الحقيقة الثالثة هي أن الضعف والوهن هنا له دلالة أخرى اجتماعية وليست مادية، ثم إن الآية قد ختمت النص بالقول ﴿ ...لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾، أي أنهم لا يعلمون هذا وسيعلمونه مستقبلاً باستخدام العلم التطبيقي والتجريبي.

والواقع إن هناك سراً بيولوجيا كشف العلم عنه فيما كشف لنا من حقائق مذهلة، فالحقيقة أن بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم من أمان وسكينة وطمأنينة فالأنثى تقتل ذكرها بعد التلقيح وتأكله والأبناء يأكلون بعضهم بعد الخروج من البيض ولهذا يعمد الذكر إلى الفرار بجلده بعد أن يلقح أنثاه ولا يحاول أن يضع قدمه في بيتها، وتغزل أنثى العنكبوت بيتها ليكون فخاً وكميناً ومقتلاً لكل حشرة تفكر أن تقترب منه وكل من يدخله زائراً كان أم سائلاً فإنه يُقتل ويُلتهم، وهذا هو سر هذه المذبحة، والوهن كلمة عربية تعبر عن غاية الجهد والمشقة والمعاناة وهذا شأن من يلجأ لغير الله يتخذ منه معيناً ونصيراً[1]..

(١) القرآن محاولة لفهم عصري، مصطفى محمود، ص٢٧٥.

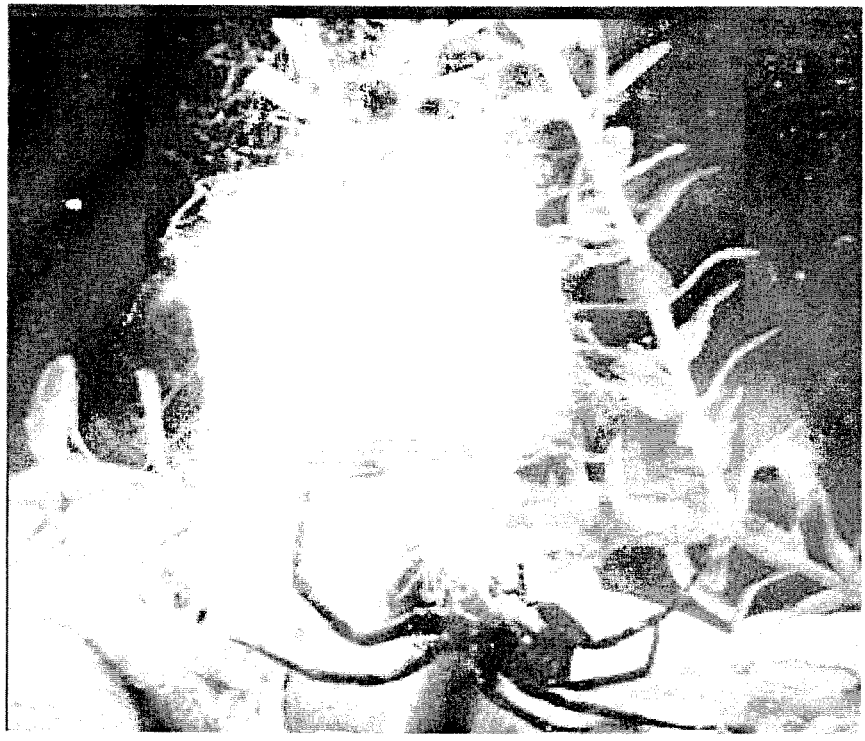

العنكبوت: مهندس ونسّاج من الطراز الممتاز

بين أحد علماء الأحياء الألمان أن كل خيط من خيوط العنكبوت مركب من أربعة خيوط، وكل واحد من الأربعة مركب من ألف خيط، فيكون كل واحد مركباً من أربعة آلالاف خيط، وكل خيط يخرج من ثقب خاص بجسم العنكبوت، وأنه لو جمع أربعة مليارات من خيوط العنكبوت لم تكن أغلظ من شعرة واحدة من شعر وجه الإنسان أي بنسبة واحد لصالح شعرة الوجه للبشر مقابل ١٦ تريليون (التريليون يعادل ١٠٠٠مليار أو مليون مليون) لخيط العنكبوت، فانظر إلى دقة التعبير مع هذه الحالة المتناهية في الصغر[١].

وقد بينا في كتابنا (المنظار الهندسي للقرآن الكريم- طبع دار المسيرة بعمان) أرقاماً

---

(١) الإيجاز في آيات الإعجاز، (الطبيب الشيخ محمد أبي اليسر عابدين رحمه الله تعالى)، طبع دار البشائر، دمشق، سوريا وهو من مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص١١١.

وثوابت عددية وحالات إعجازية عجيبة استنبطت من هذه الآية المباركة أحيل القارئ الكريم إليها، وسبحان ربك رب العزة والجلال.

٤- النحل:

ومن أمر القرآن مع النحل لعجب، إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾، (النحل: ٦٨).

يقول سيد قطب "رحمه الله" في تفسير هذه الآية المباركة ما نصه: والنحل تعمل بإلهام من الفطرة التي أودعها إياها الخالق، فهو لون من الوحي تعمل بمقتضاه، وهي تعمل بدقة عجيبة يعجز عن مثلها العقل المفكر سواء في بناء خلاياها، أو في تقسيم العمل بينها، أو في طريقة إفرازها للعسل المصفى. وهي تتخذ بيوتها حسب فطرتها في الجبال والشجر وما يعرشون أي ما يرفعون من الكروم وغيرها، وقد ذلل الله لها سبل الحياة بما أودع في فطرتها وفي طبيعة الكون حولها من توافق[1].

هنا أيضاً جاء النص للتأنيث (أن اتخذي) أي يخص إناث النحل، وجاء متسلسلاً من حيث أماكن تكوين بيوت النحل لتكوين خلايا نحل العسل، (الجبال – الشجر –البيوت)، وهذا التسلسل أثبت علمياً ومنذ زمن ليس ببعيد – ولكنه يبعد عن فترة التنزيل بـ ١٤ قرناً فقط!– أنه هو نفس تسلسل جودة العسل، فعسل الجبال أجود من عسل الأشجار، وهذا بدوره أجود من عسل البيوت، فسبحان الله العظيم الذي جعل كتابه العزيز معجزة الأزمان الخالدة.

---

(١) تفسير الظلال، سيد قطب، ج/٤، ص٢١٨١.

نحل العسل والسبق القرآني الرائع

٥- الفراش:

عندما نزل قوله تعالى في بداية الدعوة الشريفة: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ ﴾، (القارعة)، كان لهذه الآيات وغيرها من آيات التهديد والوعيد بالآخرة وأهوالها والتي نجدها خصوصاً في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم ما يخلع القلوب المؤمنة الخاشعة من الخوف من ذلك اليوم نسأل الله تعالى أن يعيذنا وإياكم من شره. فسرت الآيات على أغلب التفاسير على أن الناس سيخرجون من قبورهم يوم الحشر بعد النفخ في الصور منتشرين كهيئة الفراش المبثوث أو كهيئة الجراد المنتشر كما في قوله تعالى :﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ ﴾، (القمر:٧) .. ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ ﴾، (المعارج:٤٣) . والأجداث هي القبور،

والكاف في الآيات للتشبيه، أي كحال الجراد المنتشر أو كحال الفراش المبثوث. هذا ما نجده على الأقل في أغلب التفاسير للسلف الصالح من مدارس التفسير بالمأثور او باللغة وفنونها.

بعد تطور العلوم الحديثة في علوم الأحياء ومنها الحشرات تبين أن بعض أنواع الحشرات ومنها الفراش، يخرج من البيض بشكل دودة تشبه دودة القز، التي تتغذى على ورق الأشجار، ثم ما تلبث أن تفرز مواد حريرية من فمها لتحيك كيساً من عدة طبقات تغلف به جسمها فتتشرنق. بعد هذه المرحلة تنقطع الحشرة عن العالم كأنها ميتة ولكنها في الحقيقة تتطور بإذن ربها داخل الكيس أو الشرنقة لتخرج منه على هيئة فراشة جميلة تطير بجناحيها فتنتشر هذه الفراشات خصوصاً في فصل الربيع، والأشكال أدناه توضح دورة حياة الفراشة في صور.

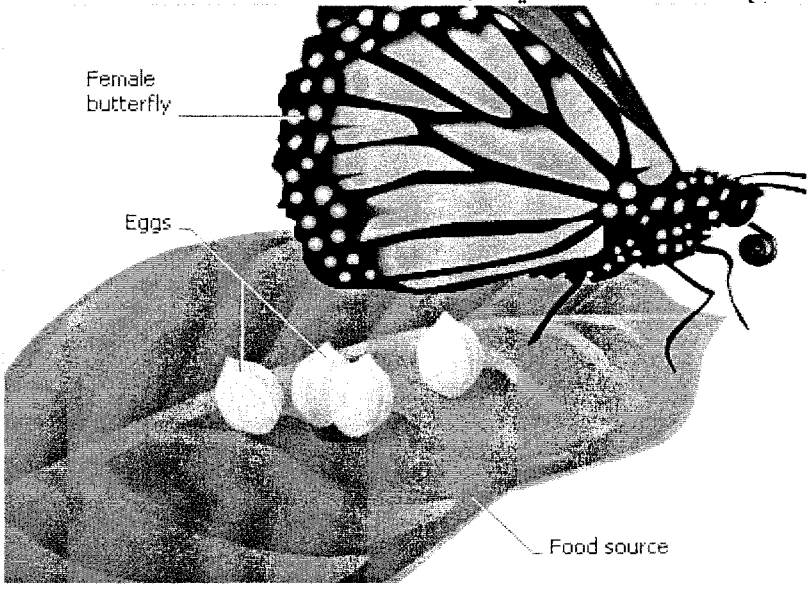

وضع البيض

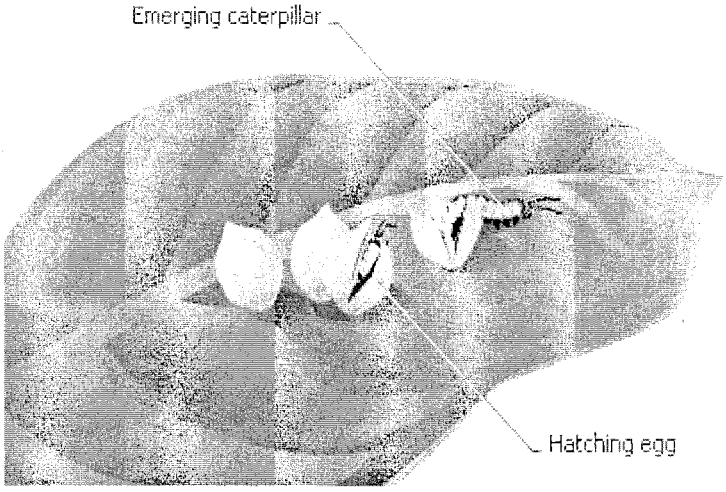

التفقيس

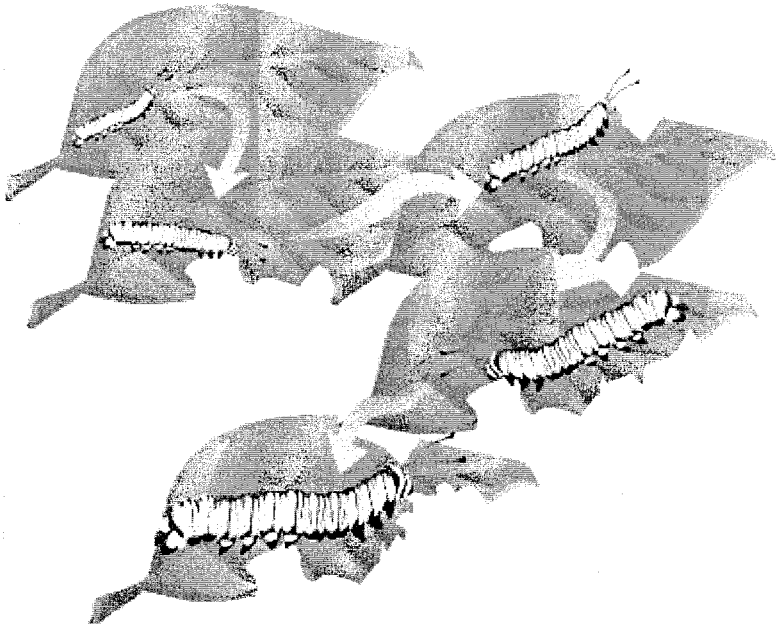

اليرقات

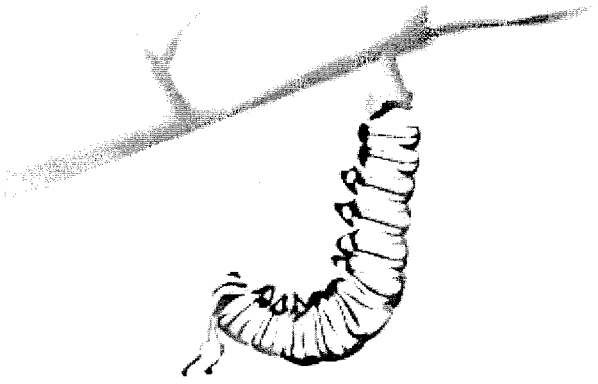

بدء التشرنق

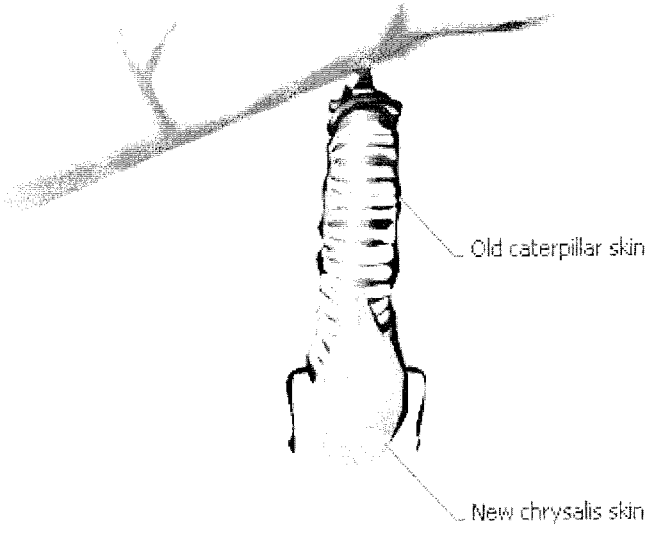

إنهاء التشرنق

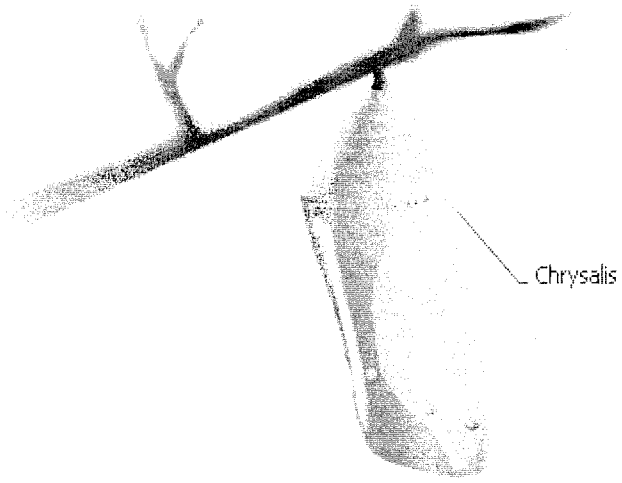

عذراء داخل شرنقة كاملة

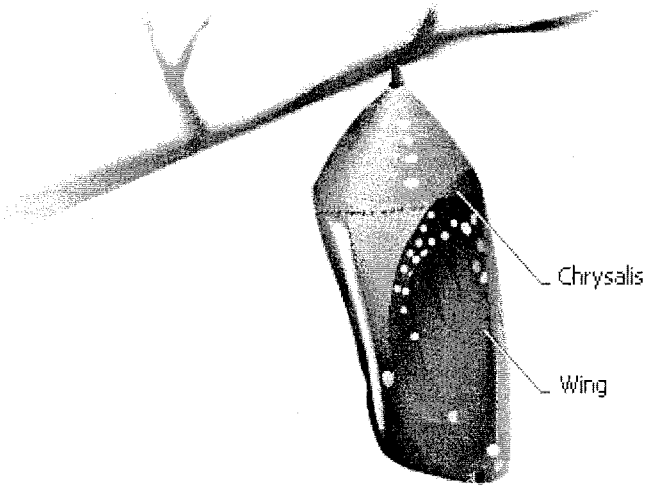

تشكل الفراشة داخل الشرنقة

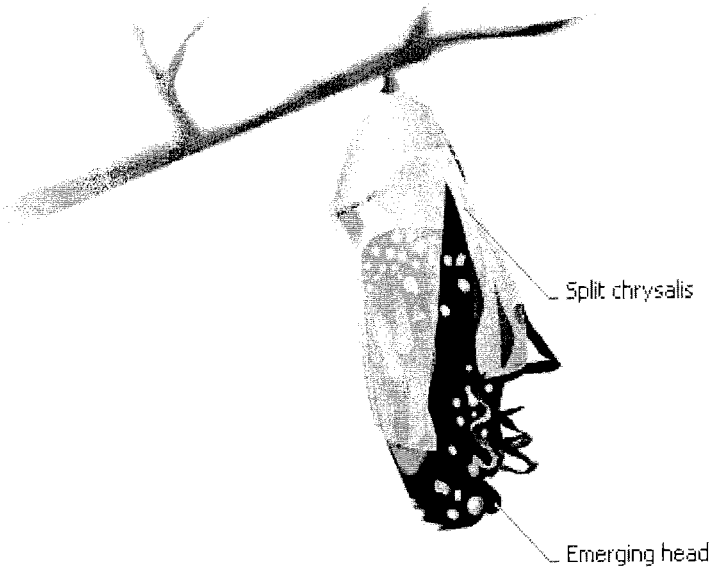

خروج الفراشة من الشرنقة

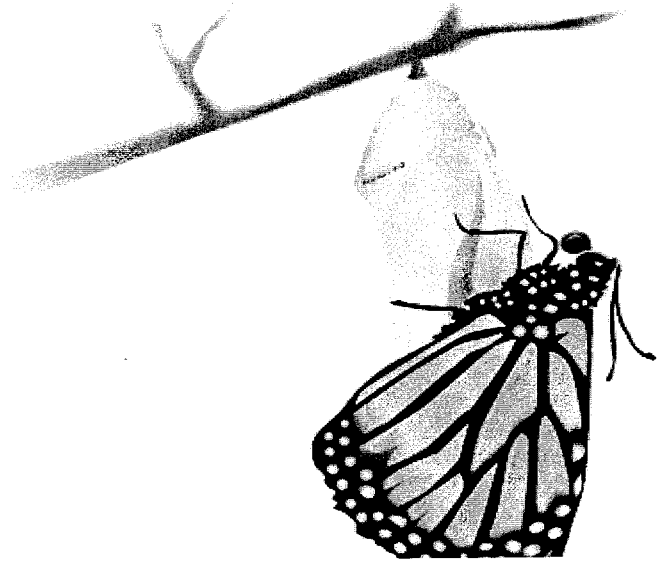

فراشة كاملة

مراحل تكون الفراشة في ٩ صور

توضح كيف تفقس الفراشة من بيضتها بشكل دودة ثم تتغذى ثم تتشرنق في كيس لتخرج بعدها من داخله كفراشة كاملة

ترى ما وجه التشبيه إذن بين هذه الحالة وحالة خروج الموتى يوم القيامة؟!... معلوم أن الناس يحيون فيأكلون ويشربون ويتغذون من ضمن فعالياتهم الحياتية المختلفة، ثم يموتون فيدفنون. والميت يلف بكيس من قماش معين أبيض اللون يسمى الكفن، (٣ طبقات للرجل و٥ طبقات للمرأة)، ويوم القيامة بعد نفخة الصور الثانية ينزل مطر كأنه الطل أو الظل كما جاء في الحديث الشريف لرسول الله ﷺ يدخل في المادة الوراثية لعجب الذنب — العظم السميك في مؤخرة العمود الفقري الذي يعرف بالعصعص وكما سنفصل في الكتاب الأخير من هذه السلسلة كتاب آخر الزمان — فتعود الصفات الوراثية للجسد ويعود الجسم للتكون عظماً ثم لحماً، واما الروح فهي طاقة تعود بإذن ربها لتتزوج بالجسد المتكون ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ ﴾، (التكوير:٧). ثم يخرج الناس من قبورهم استعداداً للحساب: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨ ﴾، (الزمر:٦٨). ومن الطبيعي أن يمزق الناس أثناء قيامهم بعد عودة الروح لهم الكيس أو الكفن، وهذا القيام يكون من كل حدب وصوب فيكون حال الناس كحال تلك الفراشات الطائرة المنتشرة.

فسبحان من خلق فصوّر، وجعل فقدّر ، وأنزل من القرآن ما سبق به علوم المتأخرين من البشر..

اللهم ارحمنا يوم ننزل في القبر.. ويوم نخرج للحشر..

اللهم ارحمنا فوق الأرض.. وارحمنا تحت الأرض.. وارحمنا يوم العرض..

اللهم آمين.

وهكذا نرى أن الاكتشافات تتوالى في عالم الحيوانات والحشرات بالذات، فمنها تُستخرج الأدوية والعقاقير ومواد صناعية كثيرة. وحتى الحشرات التي نراها ضارة من وجهة النظر السطحية فإن لها دورة رسمها الله لها في التوازن الطبيعي، وكذلك لفائدة بني البشر، فالخنافس والصراصير والعناكب السامة وحتى العقارب لها فوائدها الطبية. وآخر ما اكتشف في هذا المجال في السنة الأخيرة من الألفية الثانية للميلاد من قبل فريق طبي مسلم أمريكي في مدينة بنما سيتي وبعد بحوث عديدة أن سم العقرب يشفي

مرض سرطان الدماغ هذا المرض الفتاك الذي استعصى على العلماء لزمن طويل[١]. وهكذا فإن لهذه الحشرات أو بالأحرى لهذه المصانع الدوائية المتنقلة أسراراً عظيمة لا ندركها بمجرد النظر إليها فسبحان الله خالق كل شيء. قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾، (هود: ٦).

(١) خبر تناقلته المحطات الفضائية العالمية، مايس ١٩٩٩م.

الفصل الثالث

الحيوانات

١- الهدهد:

في قصة الهدهد مع سيدنا سليمان عليه السلام والتي بينها القرآن الكريم، كان الهدهد مسؤولاً عن نقل الأخبار إلى سيدنا سليمان عليه السلام، وكان لسبب استخدامه بدلاً من الحمام سراً إذ أثبتت التجارب العلمية الحديثة أنه أسرع وأذكى وأقوى بصراً وأكثر تحملاً من الحمام في عمليات استخدامه لنقل الرسائل والأخبار، كما وأثبتت أن له القابلية على التحسس النائي لمناطق وجود المياه في الصحراء.

لقد أخبر القرآن الكريم أن لهذا الهدهد غيرة على دين الله تعالى أين منها غيرة رجال كثيرون في عصرنا هذا، إذ كبر مقتاً عند هذا الطائر الجميل الرقيق أن يرى قوماً يتخذون آلهة من دون الله تعالى، فقبل أن يتحمل عقوبة تخلفه عن التعداد اليومي لجيش سيدنا سليمان عليه السلام على أن يترك أمر هؤلاء الضالين، فتأمل أخي الكريم أية معان نستخلصها من هذا الدرس القرآني الرائع!.

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾، (النمل)..

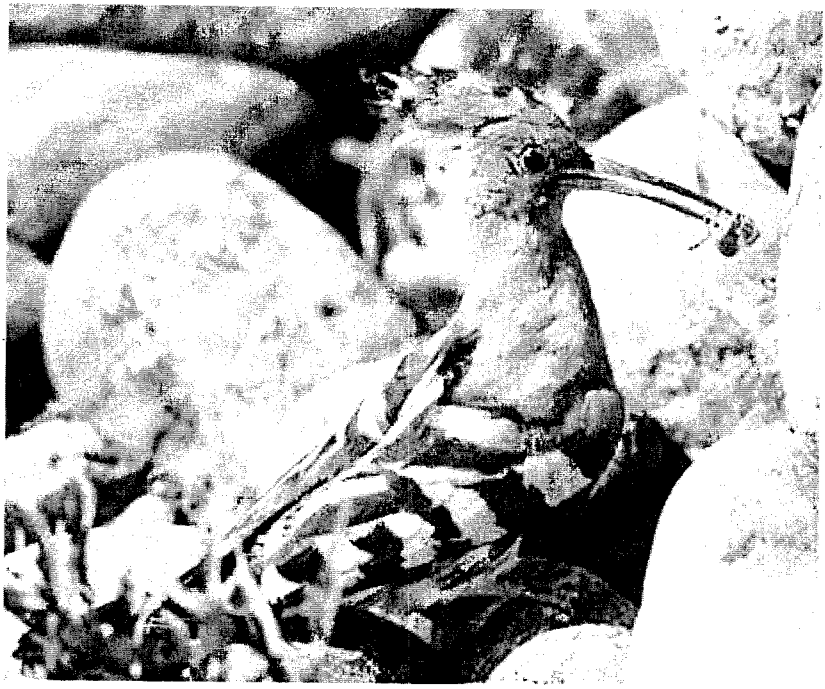

مواصفات الهدهد الاستخباراتية

وتفضيله على الحمام: سبق قرآني

٢- الجمال:

أما آية خلق الله تعالى في الجمال ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾، (الغاشية: ١٧)، واختياره ﷻ لهذا الحيوان ليضرب به المثل فإن ذلك إعجاز لوحده، إذ تختلف الإبل عن الحيوانات الأخرى في صفاتها المظهرية والفسلجية والإنتاجية، وقد أودعها الله تعالى أسرار الحياة فتراها في بعض صفاتها تشبه الحيوانات الأخرى ولكن في صفات أخرى تختلف تماماً لتعلن عن فرديتها التامة في كثير من الأمور التي ما يزال الكثير منها غير واضح للعلماء والباحثين، وقد أصبحت مضرباً للأمثال وذلك لخصائصها العجيبة التي أصبحت دليلاً جوهرياً على وجود الخالق الذي جمع صفات عديدة في حيوان واحد مفيد للبشر، واليكم التفاصيل:

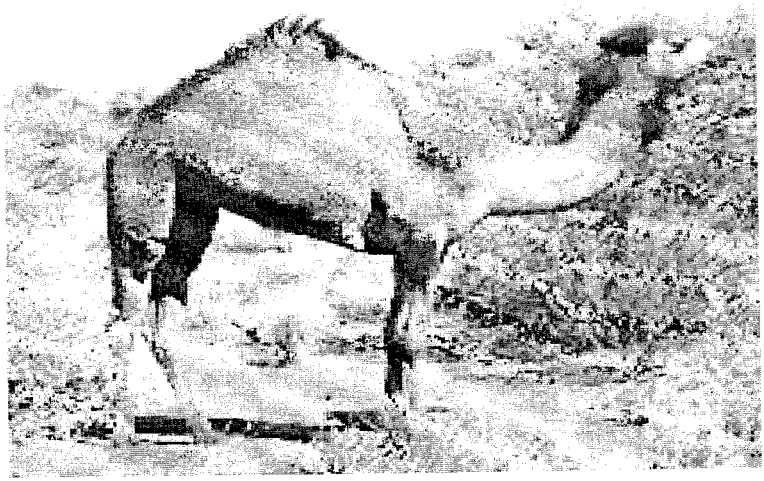

١- إن شكل الجمل، أو الناقة، غريب لا يشبه شكل الحيوانات الأخرى، فهو كبير الحجم، مرتفع، ذو قوائم عالية، ورقبة طويلة تنتهي برأس صغير نسبياً، وهذه الحيوانات لبونة ومجترة، حيث تلتهم الطعام ثم تعيد اجتراره مرة أخرى. ولو نظرنا إليها نظرة فحص وتأمل لوجدنا أن أجزاء الجسم متباينة في الحجم حيث الآذان صغيرة والذيل صغير، ولكن كتلة الجسم كبيرة، والقوائم طويلة. وتعد الإبل من حيوانات الرعي حيث حباها الله تعالى بصفات وميزات تجعلها تستفيد من المراعي بكفاءة تفوق فيها

جميع الحيوانات الأخرى وبخاصة في المراعي الفقيرة، وهذا ما نلاحظه في تأقلم الإبل على العيش في الصحارى ذات المراعي المجدبة. ومما هو معروف أن الصحارى تكثر فيها الرمال، وعند هبوب الرياح فإن ذرات الرمال تؤذي البشر والحيوانات ولكن الإبل تستطيع تحمل هذه الحالة، وذلك لعدة صفات جسمية، منها أن منطقة الأنف ذات نهايات ممتدة إلى الأمام وتستطيع أن تكيف هذه النهايات بحيث تصغر فتحة الأنف، ثم أن رموش العينين طويلة فضلاً عن ارتفاع الرأس عالياً إلى أكثر من مترين مما يجعل منطقة الرأس بعيدة عن ضربات ذرات الرمال المتحركة بفعل الرياح. والصفة الأخرى المهمة التي تمتاز بها الإبل هي تحملها للعطش وقتاً طويلاً أو عند الجفاف حيث تعتمد على كميات قليلة جداً من الماء لسد حاجتها الفسلجية، فقد وجد أن اللبائن كافة، ومنها الإنسان، لا تستطيع تحمل فقدان ماء الجسم إلى أكثر من ١٠٪ حيث تتعرض للهلاك وتختل فعاليات الجسم كافة. أما الإبل فإنها تستطيع فقدان أكثر من ٣٠٪ من ماء الجسم من دون حدوث اختلالات وظيفية في الجسم. وبعد العطش الشديد فإن الإبل تستطيع شرب كميات كبيرة من الماء خلال مدة قصيرة جداً من دون أن تتعرض لمخاطر تخفيف سوائل الجسم حيث يحدث ما يسمى بحالة التسمم بالماء للحيوان أو الإنسان الذي يشرب الماء الكثير بعد عطش شديد. وتفسير هذه الحالة هو أن الماء الذي تشربه الإبل بعد العطش الشديد يبقى في الكرش ولا يمتص بسرعة. وقد اكتشف أحد الباحثين قدرة الجمال على إبقاء الماء مدة ٢٤ ساعة لاكتمال امتصاصه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الكريات الحمراء في دم الإبل لها القدرة على مقاومة البلازما ناقصة التوتر الناجم عن شرب كميات كبيرة من الماء خلال مدة قصيرة لأن بطء امتصاص الماء في القناة الهضمية لا يمنع من دخول الماء إلى الدم، بسرعة، في الإبل التي تتعرض إلى العطش الشديد.

٢- يكون استعمال الماء في تنظيم حرارة الجسم عند الإبل بكميات أقل من اللبائن الأخرى حيث أن المجال الحراري لدرجة حرارة الجسم في الإبل يكون كبيراً، ويبلغ المدى حوالي ٧ درجات مئوية، ففي الصباح الباكر تكون درجة حرارة الجسم ٣٤م، وترتفع خلال النهار حتى تصل إلى ٤١م، ثم تنخفض تدريجياً خلال المساء. أما في الحيوانات اللبونة الأخرى فإن حرارة الجسم تبقى ثابتة، وأي ارتفاع أو انخفاض في حرارة المحيط الخارجي يتطلب جهداً فسيولوجيا يستعمل فيه الماء للتغلب على

اختلاف درجات حرارة البيئة والمحافظة على حرارة الجسم بمعدلها الطبيعي.

٣- تتكون المعدة في المجترات كالأبقار والجاموس والأغنام والماعز من أربعة تجاويف بينما في الإبل تتكون من ثلاثة تجاويف حيث يكون التجويف المسمى الوريقية (أم التلافيف) أثرياً، وتمتاز معدة الإبل وأمعائها باستيعاب كميات كبيرة من الماء أو السوائل تصل إلى حوالي ربع وزن الجسم، وهذا الماء يعد مستودعاً جيداً للسوائل التي يحتاجها الحيوان عند تعرضه للعطش خاصة إذا ما علمنا أن الإبل تعد أكثر الحيوانات اقتصاداً في استعمال الماء لفعاليات الجسم المختلفة، فقد وجد أن الماء المتص في بعض أجزاء المعدة يعاد ضخهُ إلى الأجزاء الأخرى، وهذه الحالة تساعد الإبل كثيراً عند حصول الجفاف وقلة الماء في الصحراء على استمرار الوظائف المعدية العادية، بينما الأبقار مثلاً، إذا فقدت الماء مدة يومين فإنها لا تستطيع تناول الطعام لفقدانها الشهية نتيجة نضوب الماء -في الكرش- الضروري لخلق البيئة اللازمة للعمليات الهضمية، وفي الإبل وجد أنها تستطيع تحمل خمسين يوماً من غير ماء دون أن تفقد شهيتها.

٤- ومن الأمور العجيبة التي وجدت في الابل، أيضاً، قابليتها على بلع الطعام عند العطش مدة طويلة، ويعتقد أن بقاء الفم رطباً عند العطش في الإبل يرجع إلى استمرار إرسال الطعام من المعدة إلى الفم مما يسهم في بقاء الفم رطباً، وكذلك لوحظ وجود اليوريا في لعاب الفم بتركيز مرتفع عند العطش، ومن صفات اليوريا الاحتفاظ بالماء. لذلك نرى أن الحيوانات كافة، وكذلك الإنسان، لا تستطيع بلع الطعام عند العطش الشديد، ويحدث لها إحساس مؤلم بينما تستمر الإبل بتناول الأطعمة الجافة خلال أشهر الصيف الحار ومن دون ماء.

٥- يعد إنتاج الحليب في الإبل من أهم الفوائد التي يجنيها المربون البدو في الصحراء من تربيتهم لهذه الحيوانات لأنه مادة غذائية مهمة، وقد لوحظ أن الإبل إذا تركت تأخذ حاجتها من الماء بسهولة فإن محتوى الماء في حليب الإبل يبلغ ٨٦٪، أما إذا قننت كمية الماء المعطاة لها فإن محتواه في الحليب يزداد حتى يصبح ٩١٪. لذلك نجد أن الإبل في أوقات الجفاف الشديد يكون حليبها مائي القوام، ويمتاز حليب الإبل أيضاً بأن محتواه من فيتامين C مرتفع قياساً إلى أنواع الحليب الأخرى وهذا له أهميته البالغة لسكان المنطقة الجافة التي لا تتوافر فيها مصادر نباتية يحصلون منها على

احتياجاتهم من هذا الفيتامين الضروري.

٦- أما الصفات الفسلجية لدم الإبل، فإن بلازما الدم لديها تحتوي على تركيز عال من الألبومين المعروف بقدرته العالية على جذب الماء.ويعتقد بعض الباحثين أن الألبومين يلعب دوراً مهماً في تمكين الحيوانات الصحراوية من العيش عند تعرضها للحرارة والجفاف. والإبل التي تتعرض للجفاف تفقد ٥٪ من حجم البلازما، وهو قليل جداً مقارنة بالحيوانات الأخرى. وقد وجد أن خلايا الدم الحمراء البيضوية الشكل في الإبل سرعان ما تصبح كروية عند الارتواء السريع بعد العطش. ويحتوي دم الإبل على عدد من خلايا الدم الحمراء أكثر من معظم اللبائن الأخرى حيث يحتوي المليمتر المكعب الواحد على ١٢,٥ مليون خلية. وأشارت بعض الدراسات إلى أن خلايا الدم الحمراء في الإبل تنقل ٥٠٪ من الأوكسجين أكثر من مثيلاتها من اللبائن الأخرى محسوبة على أساس وحدة الحجم، ويُعتقد أن ذلك يعود إلى المحتوى العالي من خضاب الدم لهذه الخلايا حيث يصل هذا المحتوى إلى ٤٥٪ بالمقارنة مع ٣٤٪ في الإنسان و٣٥٪ في الأغنام والدجاج والكلاب.

٧- تستطيع الإبل، في ظروف الجفاف الصحراوي، خفض معدل التنفس وبالتالي ينخفض استهلاك الأوكسجين، مما يسبب تراكم غاز ثاني أو كسيد الكار بون في الدم، وهذا يتسبب في حدوث حالة Acidosis أي زيادة حموضة الدم، ولكن في الإبل يحدث ارتفاع قلوية الدم، وهذه القلوية تأتي من زيادة تركيز البيكاربونات في الدم، ويُعتقد أن الإبل تستفيد من البيكاربونات الموجودة في الأمعاء بوصفها مصدراً للمواد القلوية في الدم، وهناك كميات إضافية من البيكاربونات تعود إلى الدم من خلال الغدد اللعابية، ومن البديهي أن امتصاص البيكاربونات يترافق مع سحب كميات من الماء، وهذا له فائدة كبيرة للدم في ظروف قلة الماء.

٨- تمتلك الإبل خاصية إمكان غلق وفتح فتحتي المنخرين عند التنفس حيث تفتحان لمدة ثانية أو ثانيتين أثناء الشهيق ثم تغلقان لمدة ٣-٤ ثوان، وهذه الخاصية تمنع دخول ذرات الرمال والغبار أو الحشرات إلى الجهاز التنفسي فضلاً عن حماية الغشاء المخاطي الأنفي من الجفاف أثناء التنفس، وتوجد أيضاً تجاويف خاصة في بداية الجهاز التنفسي تسهم في ترطيب الهواء المستنشق، كذلك تسهم هذه التحويرات في

تبريد الدم المار إلى أنحاء الجسم.

٩- وفيما يتعلق بفسلجة الكلية والجهاز البولي، فإن الإبل تستطيع تركيز بولها وفي بعض الأحيان لا تبول، وذلك اقتصاداً للماء المطروح مع الإدرار. ويزداد العجب إذا علمنا أن الإبل، وفي ظل ظروف الجفاف في الصحراء، تتناول النباتات المالحة ذات التركيز الملحي العالي. ومع ذلك يقل إدرارها، فهي تستفيد من العناصر المعدنية الموجودة في هذه النباتات المتناولة في فعاليات جسمها المختلفة[1].

وبعد هذه النبذة الوجيزة عن هذا الحيوان المهم، هل من متسائل يسأل لماذا اختص النظر بالإبل في الآية السابقة من سورة الغاشية؟، فصدق الله ورسوله ﷺ.

٣- الخيل:

يقول الله تعالى في هذا الموضوع: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝٣٣ ﴾، (ص).

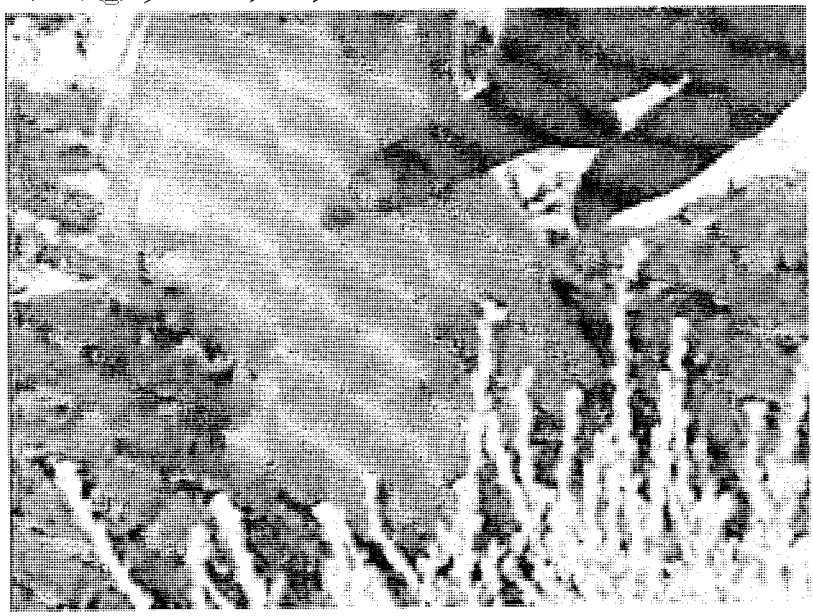

الخيل الصافنات ذات الحوافر والأقدام الشعرية

(١) مقالة للدكتور زهير فخري الجليلي، مجلة علوم، العدد ٥٧، ١٩٩١، ص٢١.

فسرت هذه الآية على أن سيدنا سليمان كان مولعاً بالخيل ومنها الخيل الصافنات وهي نوع من الجياد تمتاز بسرعة العدو ورشاقة البدن وقوة التحمل، وهو نوع من الخيل في أسفل قدمه شعر ويمتاز بسيقان قوية حتى أنه يرفع إحداها أثناء نومه دليلاً على قوة تحمل هذه السيقان.

وفي يوم أطلق الجياد وظل يراقبها حتى ألهته عن صلاة العصر أو إحدى الصلوات، ثم استدرك واستغفر ربه.

إذا ما تدبرنا النص فإننا نلاحظ أنه عليه السلام أمر بإرجاع الخيل بعد جريانها السريع وأخذ يمسح على أعناقها وسوقها. وقد أثبتت التجارب العلمية الحديثة أن عملية المسح على منطقة السيقان وأسفل القدم للفرس تؤدي إلى تنشيط وتقوية الدورة الدموية له، وكذلك عملية المسح على الأعناق تؤدي إلى إراحة الفرس وتهدئته بعد التعب والإعياء الذي أصابه. فكان القرآن الكريم سباقاً في تثبيت هذه الحقيقة العلمية قبل اكتشافها بالبحوث العلمية الحديثة.

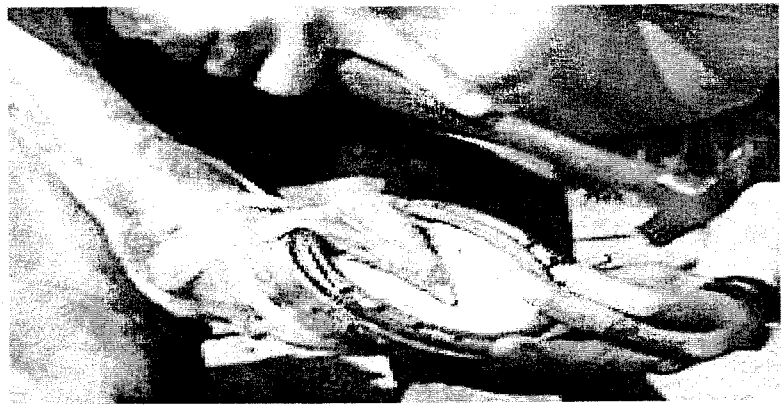

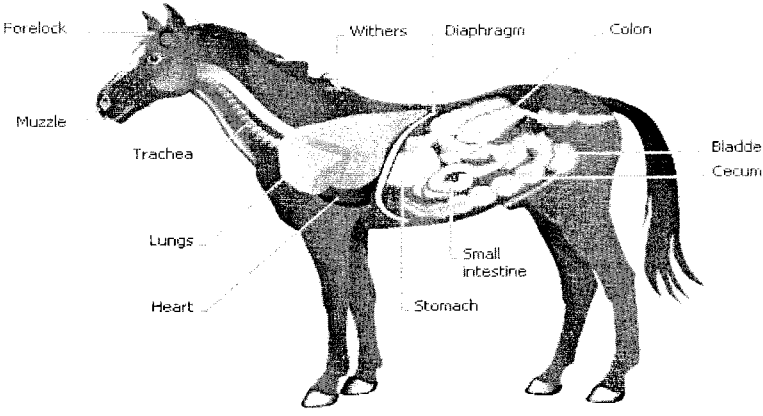

أشكال توضح الخيول السريعة وحوافرها القوية

الفصل الرابع

البيطرة

١- الأنعام:

يحصل للطعام بعض التغيرات نتيجة الإفرازات ابتداء من اللعاب وعصارة المعدة والبنكرياس إلى الأمعاء وعصارة الصفراء الكبدية. ويمتص هذا الطعام بعد تمام هضمه أساساً في الأمعاء الدقيقة الطويلة والمزودة بخمائل ينتشر فيها أوعية دموية ولمفاوية لتزيد من سطح الامتصاص، وينتقل عن طريق الدورة البابية إلى الكبد لتحصل به التغيرات زمناً ثم إلى الدورة العامة. إن غدة الثدي التي تفرز اللبن تتغذى أساساً بمنتجات الأغذية المهضومة المحمولة بواسطة دوران الدم، وتتأثر بهرمون البرولاكتين من الغدة النخامية ومن المشيمة، وهو الحافز على إفراز الحليب من الثدي بتأثيره المباشر وغير المباشر على إفراز هرمون آخر اسمه البروجسترون. وهذه الهرمونات تدور أساساً في الدم الذي يلعب الدور الناقل للهرمونات وللمواد المستخرجة من الغذاء عن طريق الامتصاص المعوي، ويغذي الغدد الثديية منتجة اللبن مثلما يغذي سائر الجسم[1].

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾، (النحل: ٦٦). هذه حقيقة علمية بينها القرآن الكريم، وجاءت متفقة مع معطيات المعرفة الحديثة عن أصل مكونات اللبن في الثدييات. فالغذاء بما يحويه من مواد أساسية للجسم يدخل في تفاعلات كيميائية داخل القناة الهضمية. ثم إن الأوعية الدموية في جدار الأمعاء تمتصها ويذهب بعضها من خلال الدورة البابية إلى الكبد ثم يعيدها بدوره إلى الدورة الدموية العامة ، فالدم هنا يلعب دور الناقل للمواد المستخرجة من الأغذية، ومن ثم يغذي أعضاء الجسم ومن بينها الغدد الثديية المنتجة للبن، فعملية استخلاص اللبن تبدأ إذن من مواجهة محتوى الأمعاء (الفرث) مع الدم. فكيف يمكننا أن نتخيل أننا نشرب الألبان ونأكل مشتقاتها وهي

---

(١) قرص موسوعة الطب النبوي، الإعجاز الطبي في الإسلام، الدم.

تخرج من مكان كله قذر، دم وفرث، إنها عناية الله تعالى بنا وتسخير كل شيء لأجلنا.

لبن الأنعام وأهميته

ويكفي لتقدير عظمة الإعجاز في هذه الآية أن نعلم أن الدورة الدموية الكبرى اكتشفت في القرن العاشر الميلادي من قبل العالم العربي علي بن العباس العبادي (ت: ٩٤٤م). والدورة الدموية الصغرى اكتشفها ابن النفيس (ت: ١٢٨٨م)، وإن كانت المصادر الأجنبية تنسبها لـ (هارفي) الذي يعد أول من وصف الدورة الدموية وصفاً كاملاً عام (١٦٢٨م) أي بعد عشرة قرون من تنزيل القرآن العظيم.

٢- لحم الخنزير:

يقول د. الكسيس كاريل (الحائز على جائزة نوبل) في كتابه (الإنسان ذلك المجهول): ((إن طبيعة الإنسان الفسيولوجية والنفسية تتأثر بطبيعة البيئة التي يعيش فيها وطبيعة الحيوانات والنباتات التي يتغذى عليها)). وبما أن الخنزير حيوان ديوث فإن تناول لحمه يترك أثراً في طبيعة الإنسان (القصد واضح وهو حالة متفشية في الغرب).

وردت لفظة "خنزير" في عدة مواضع من القرآن الكريم، يحرم الله في أغلبها أكل لحمه ضمن المحرمات الغذائية الأخرى... ومن هذه المواضع قول الله تبارك وتعالى:

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾، (سورة الأنعام: ١٤٥). وقد ورد تحريم لحم الخنزير أيضاً في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، منها على سبيل المثال ما رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**إن الله ﷻ حرم الخمر وثمنها، وحرم الميتة وثمنها، وحرم الخنزير وثمنه**))... والآن لنتعرف على بعض صفات هذا الحيوان، لنعلم الحكمة الإلهية في تحريم لحم الخنزير: ورد في الموسوعة البريطانية الصغيرة (Micropedia) أن الخنازير تعيش في قطعان، والخنزير هو الحيوان الوحيد في فصيلة الحافريات (أي الحيوانات ذات الأظلاف) الذي لا يغار على حدوده، ولا يدافع عنها، ويعيش الخنزير في مسكن لا يعبأ بتحديد حدود له، ويأكل ويشرب ويناكح في مكانه، وإذا هوجم ترك المكان بدون أدنى مقاومة!! ولا يدافع عنه، كما أنه لا يدافع عن إناثه أو صغاره إذا هوجمت هي الأخرى، بل يتركها وشأنها!! ومن هذا فهو سُبة عند جميع الشعوب، حتى تلك التي تربي الخنازير، وتعني بها، وتهيئ لها أفضل أنواع الرعاية البيطرية والغذائية. والآن نعرض لأبرز ما كشفه العلم حديثاً من أضرار صحية، وأخطار طبية لأكل لحم الخنزير، في فروع علمية عديدة: تقوم الخنازير بنقل أكثر من ٦٦ مرضاً من الأمراض الطفيلية، منها ٣٠ مرضاً —على الأقل— يصيب الإنسان... وهي أمراض مشتركة بين الإنسان والحيوان، منها ما تسببه الطفيليات الأولية من أمراض كـ (مرض النوم، والتركسوبلازما)... ومنها ما تسببه الديدان المفلطحة كـ (البلهارسيا اليابانية، وداء ذات الأفواه المشوكة)... ومنها ما تسببه الديدان الأسطوانية (الخيطيات) مثل (داء الشعريات الشوكية ذات الفكين، ومرض التركينا، ودودة الرئة الخنزيرية، ودودة المريء الخنزيرية، ودودة الكلى الخنزيرية)... ومنها ما تسببه الديدان الشريطية كـ (الحويصلات الخنزيرية، ودودة الخنزير الشريطية)، ومنها ما تسببه الطفيليات الخارجية كالجرب. كما أن هناك أنواعاً خطيرة من الأمراض الفيروسية تنقلها الخنازير للإنسان، كالحمى القلاعية، والحمى الصفراء، والأنفلونزا الخنزيرية، والحمى الدماغية اليابانية، والتهاب السحايا الليمفاوي،

والسقار...الخ)، وأنواعاً خطيرة من الأمراض البكتيرية، مثل (الحمرة الخبيثة، والتسمم الوشيقي، والحمى المتموجة، والحمرة العرضية، والراعوم، وداء السل، والكزاز...الخ)، وأمراضاً فطرية مثل (داء البيضاء الفطرية (المونيلا)، والقراع... الخ).

وعن التأثيرات الضارة في وظائف الأعضاء (فسيولوجيا الجسم) كتب الدكتور (Frederic Vinas) مقالة في مجلة (Integral) سنة ١٩٧٨، ومنها نسوق هذه اللقطات: (... وإضافة إلى بحوث الدكتور (Hans Reckefing) على الفئران، هناك بحوث أجريت على الكلاب وعلى حيوانات السيرك كالأسود والنمور، ووجدت أنها أصيبت بالسمنة بعد تغذيتها بلحم الخنزير، ومنها ما أصيب بالنزيف الأنفي بسبب ارتفاع ضغط الدم، ومنها مات... وحتى الأسماك، من نوع السمك النهري (Trucha)، كانت تموت بعد أيام من تغذيتها بلحم الخنزير... ويذكر الدكتور ريكيفنج وهو من أشهر علماء ألمانيا، ومعروف في العالم أجمع بأنه مؤسس نظرية "التسمم البشري"، وهو يعتقد بوجود مواد سامة بشرية في لحم الخنزير، ذكرتها عدة بحوث...

وختاماً، فهناك بحوث عديدة تؤكد الأضرار الصحية لدهن الخنزير، وتغلغله في ألياف اللحم، مما يعني عدم القدرة على الهرب منه، وتؤكد ارتفاع نسبة الكوليسترول المرتبط دائماً مع الدهون الحيوانية، وكذلك مركب يدعى "متعدد السكر المخاطي"، وهو مركب خطير على صحة الإنسان، لأنه يؤدي إلى حدوث أضرار كثيرة مثل انتفاخ الأنسجة الضامة وتحولها إلى ما يشبه الإسفنجة المتصة للماء ومع كميات الدهن الكبيرة المتغلغلة في لحم الخنزير، يترهل الجسم ويتضخم، كما أن دهن الخنزير يحتوي على كمية كبيرة من الكبريت، وكذلك فإن دخول كميات بروتينية زائدة إلى الجسم يسبب أمراضاً في الدورة الدموية.

وإضافة إلى هذا كله، فلحم الخنزير غني جداً بهرمونات النمو التي تساعد على النمو وتعجله، ومن ناحية أخرى تساعد على زيادة القابلية للإصابة بالأمراض الورمية، وخصوصاً الأمراض الخبيثة... وكل من الكوليسترول وهرمون النمو يساعدان على الإصابة بمرض السرطان، وهناك مادة ثالثة في لحم الخنزير تساعد على الإصابة به أيضاً وهي مادة بينزوبيروتوز... كما يحتوي لحم الخنزير على مادة الهستامين، والمركبات الأميدازونية، وهما المسئولان عن ظهور أعراض الطفح، والتهابات المرارة

وأعضاء التناسل، والأوردة والجلد... وهناك العديد من الأضرار والأخطار الصحية الأخرى يضيق المقام هنا لعرضها[١].

لقد لاحظ الباحث الألماني هانس ريكفين أن بين قبيلة (Huns) القاطنين في جبال الهملايا فئة مسلمة ملتزمة بتعاليم الإسلام التي تنص على تحريم لحم الخنزير. ولاحظ أنهم يبقون أصحاء نشطين حتى لو تقدم بهم السن، بينما أفراد العرق نفسه من غير المسلمين الذين يقطنون بجانبهم في جهة أخرى في تلك الجبال من الذين لا يلتزمون بتعاليم الإسلام ويأكلون لحم الخنزير، فانهم يصابون بأمراض عصرية. وقد قام البروفيسور هانس وآخرون غيره مثل روفو (Roffo) وفيندت (Wedt) وليترس (Lettres) وهوفمان (Hoffmann) بأبحاث عديدة حول هذا الموضوع أثبتوا خلالها كم كانت الشريعة الإسلامية رحيمة بالبشر إذ منعتهم من تناول هذا السم الزعاف[٢].. وهنا نقل الدكتور دلاور محمد صابر عن الدكتور عبد الرزاق الكيلاني في كتابه الموسوم: الحقائق الطبية في الإسلام بعض المصطلحات الأجنبية التي تشير إلى وجود لحم الخنزير ومنها[٣]:

Lard	**و تعني شرائح من دهن الخنزير المضاف إلى اللحم قبل طهيه أو يعني دهن أو شحم الخنزير نفسه.**
Shortening	**وتعني شحم الخنزير.**
Animalfat	**وتعني شحم الخنزير.**
Pork, Porc	**لحم الخنزير.**
Ham	**فخذ الخنزير.**
Bacon, Janbon	**لحم الخنزير المملح أو المقدد.**

(١) برنامج المعجزة الخالدة، الجزء الأول، العلوم الطبية، قرص مدمج، ١٩٩٨.

(٢) العلم والإعجاز، د. دلاور حمد صابر، صفحة٣٥-٤٢، بتصرف (بحوث مترجمة عن المجلة العالمية البايولوجية الطبية، عدد ٥، سنة ١٩٧٧، صفحة ٤٣٧-٤٥٥)، وقد نشر الباحث في كتابه النسخ الأصلية للمجلة الألمانية التي نشرت البحوث ص ٤٤-٥١.

(٣) العلم و الأعجاز، دلاور محمد صابر، ص ٥٢.

ومعلوم أن اليهود لا يأكلون الخنزير، فقد حافظوا في هذا على ما جاءهم من تعاليم التوراة ولم يحرفوه، أما النصارى فأكلوا الخنزير مع إنه مُحرّم عليهم، وحجتهم في هذا أن تعاليم الإنجيل قد نقضت تعاليم التوراة، مع إن السيد المسيح عليه السلام قال: ((لم آت لأنقض الناموس وإنما أتيت لأتمم))، وكلمة أتمم لا تعني إلغاء أوامر التوراة وإنما تعني الإضافة ولم يحلل السيد المسيح عليه السلام لحم الخنزير.

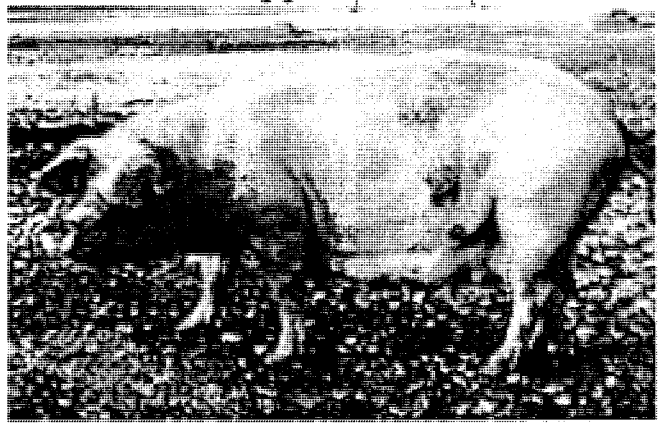

الخنزير والأمراض العديدة التي يسببها: سبق قرآني

٣- الكلب:

يقول الله تعالى: ﴿ ...فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ... ﴾، (الأعراف: من الآية١٧٦).

إن عملية التعرق والزفير تشتركان في تنظيم الحرارة للجسم عن طريق فقدان الماء حيث يتم امتصاص الحرارة من الجسم بطرح الماء وهذه عند الإنسان حيث يمتلك الغدد العرقية بكميات هائلة فيستعين بها على تنظيم الحرارة في الصيف، أما في الكلب فلا توجد غدد عرقية إلا بكمية قليلة جداً عند أخمص القدم فيلجأ إلى استخدام عملية الزفير بصورة كبيرة فيعوض عن التعرق باللهاث لينظم حرارة جسمه في الصيف.

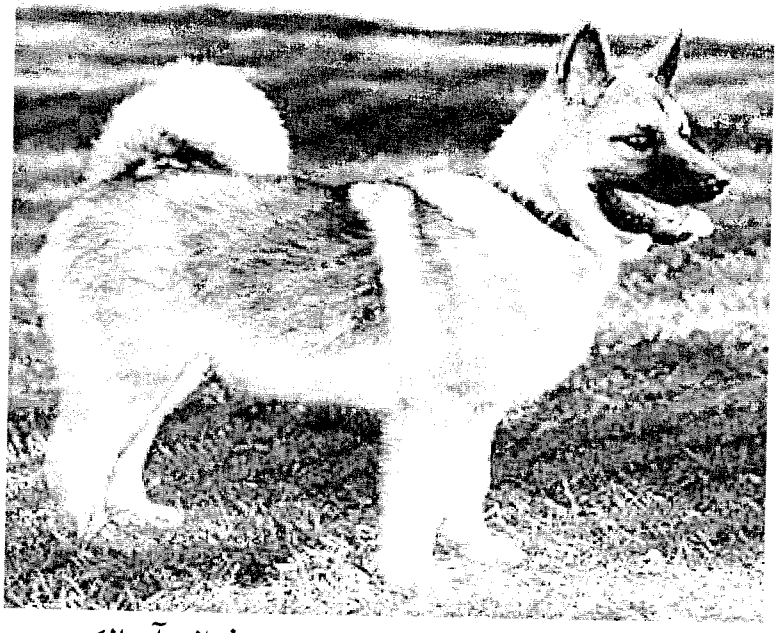

اللهاث عند الكلاب: إشارة ومثل ذكر في القرآن الكريم

رغم أن للكلب فوائد عديدة، فهو حيوان وفي وذكي وقوي، إلا أن مشكلته هو نجاسة لعابه ودمه وأعضائه التي تنقل الأمراض. فقد ثبت علمياً أن للعاب الكلب ودمه خصائص تجعله وسطاً لكثير من الجراثيم والميكروبات الناقلة لأمراض الإنسان، وبالتالي فإن ملامسته وإدخاله في البيوت ومشاركته الطعام لها مضارها الصحية فضلاً عن أنها لا تليق بمقام الإنسان فما بالك بنظافة المؤمنين.

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة في هذا الحيوان حلّه وحرمته، فوائده ومضاره، بيعه وشراؤه يربو عددها على ٢٥٠ حديثاً في الكتب التسعة لأهل السنن. فقد قرر الإسلام أن للكلب فوائد عديدة في الحراسة والصيد والحراثة، لكنه قرر أيضاً نجاسة الكلب، وهذه التقريرات أثبتت صحتها ودقتها ومنطقيتها، فالعطف على هذا الحيوان والإعجاب بقدراته لا تنفي حقيقة نجاسته، وبالتالي إذا ما لمس بلعابه طعام البشر فإن ذلك سيسبب مشاكل صحية نحن في غنى عنها. لذلك قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم (الطهارة ٤٢٠)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (**طَهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولاهُنَّ بِالتُّرَابِ**).

أصل النجاسة وعلتها هو فم الكلب وأنفه التي هي منبع الداء، وجسمه يتلوث كلما مسه بفمه وأنفه. لعاب الكلب يسبب مرض داء الكلب الفتاك، وإذا ما ولغ فمه ولعابه في إناء أحدنا نقل إليه دودة الـ (Taenia ecinococcus) فتصل إلى الكبد والرئتين والكليتين والمخ والأعضاء التناسلية على شكل أكياس متحوصلة تضغط على الشرايين والأوردة والعصاب وتؤدي إلى آلام في الظهر وأمراض. أما إذا ما انفجرت هذه الأكياس فلا بد من إجراء جراحة لمعالجة الأمر الذي لن يخلو من خطورة. كما إن الكلب ينقل الجرب حيث تتمركز طفيلياته على قنطرة أنف الكلب، وعندما يحك جسمه بأنفه يتلوث كله، فإذا داعبه أحد انتقلت إليه العدوى[1].

لذلك عندما قرر طبيب البشرية رسول الله ﷺ أن يغسل الإنسان إناءه سبع مرات أولها أو إحداها على الأقل بالتراب والباقي بالماء، فإن النتيجة هي إزالة تلك الميكروبات والديدان ومنعها من الوصول إلى جوف ابن آدم كي لا يحصل المحظور.

سألني مرة أحد الناس قائلاً : (أليس في هذا تخلفاً)، ويقصد الغسل بالتراب، فأجبته: أن التراب يحوي كل العناصر الكيميائية الأساسية التي منها تستخرج مساحيق التنظيف، ففيه الأملاح والمعادن والسيراميكيات كالطين والزجاجيات كالرمل وغير ذلك، فلم العجب إذا ما علمت أن الحديد نفسه يقصف بالرمل لتنظيفه في عصرنا التقني هذا، ثم يأتي دور الماء للتطهير الكامل للأواني التي قد تكون معدنية أو سيراميكية أو لدائنية. فأجابني مندهشاً أتعني أن التنبيه هنا جاء منعاً للتلوث الصحي وإفهاماً لكيفية درءه؟!، قلت له بالضبط . قال سبحان الله، لقد كنت بعيداً عن هذا الفهم المنطقي للأمور.

وقد ذكرنا من أمر دواب البحر في القرآن الكريم في كتاب المياه والبحار (الكتاب السادس من هذه السلسلة).

---

(١) قرص موسوعة الطب النبوي، الإعجاز الطبي في الإسلام، الكلب.

الفصل الخامس

الرفق بالحيوان

الإسلام دين شامل يعطي لكل ذي حق حقه، وإذا ما أتيح للناس الاطلاع على تفاصيله لوجدوا فيه الخير كله الذي لم ينس حتى حقوق الحيوانات على الناس خصوصاً المدجنة منها والتي تدر على البشرية خيراً كثيراً.

لقد حرّم الإسلام صيد البر للحاج والمعتمر وقت الإحرام رغم فوائده وذلك تعظيماً لبيت الله الحرام من جهة، ومن رحمته حتى بالحيوانات في أشهر الحج أمر أن لا يمس حيوان بري بسوء في وقت إحرام المحرم لحجه أو لعمرته، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١ ﴾، (المائدة:١) .. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ۝٩٥ ﴾، (المائدة:٩٥).

بل إن الإسلام يوضح مدى العدالة الإلهية يوم القيامة في كيفية اقتصاص الشاة من شاة أخرى قد نطحتها في الدنيا، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم (البر والصلة والآداب ٤٦٧٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**).

والمتدبر لسيرة الرحمة المهداة سيدنا رسول الله ﷺ يجد قصصاً تذرف لها الدموع وتقف عندها العقول لتتحير من هذه العواطف الجياشة لهذا الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، نذكر بعضاً منها:

١. أخرج أبو داود (الجهاد ٢١٨٦) في سننه أن بعيراً قد جاء إلى النبي ﷺ وهو يبكي فهمس في أذنه أن صاحبه يطعمه قليلاً ويحمل عليه كثيراً، فقال لصاحبه إن

جملك هذا يشكي كثرة الكلف وقلة العلف،،،اتقوا الله في هذه البهائم. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ قَالَ فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ:(**مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ**)، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ (**أَفَلا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**).

٢. مرّ ﷺ ذات يوم ورأى حمامة وقد أخذ منها ولديها وهي تحوم ملهوفة، فقال الرحمة المهداة ﷺ :(من فجع هذه بولديها، ردوا عليها ولديها). فقد أخرج أبو داود في الجهاد (٢٣٠٠) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: (**مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا**).

٣. مرّ بقرية من نمل قد حرقت فأنكر على الفاعلين فعلهم. ففي تتمة نفس الحديث السابق الذي أخرجه أبو داود قال (وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ :(**مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ**)، قُلْنَا نَحْنُ قَالَ: (**إِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ**).

٤. ذكر رسول الله ﷺ أنه رأى امرأة دخلت النار جرّاء حبسها لهرّة ومنعها لها الطعام لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. ففي الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (الأذان ٧٠٣) ومعه كل أهل السنن، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهم عَنْهمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى صَلاةَ الْكُسُوفِ فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ ثُمَّ رَفَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ ثُمَّ رَفَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ ثُمَّ رَفَعَ فَسَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ ثُمَّ رَفَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ ثُمَّ انْصَرَفَ فَقَالَ : (**قَدْ دَنَتْ مِنِّي الْجَنَّةُ حَتَّى لَو اجْتَرَأْتُ عَلَيْهَا لَجِئْتُكُمْ بِقِطَافٍ مِنْ قِطَافِهَا وَدَنَتْ مِنِّي النَّارُ حَتَّى قُلْتُ أَيْ رَبِّ وَأَنَا مَعَهُمْ فَإِذَا امْرَأَةٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ تَخْدِشُهَا هِرَّةٌ قُلْتُ مَا شَأْنُ هَذِهِ قَالُوا حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا لا أَطْعَمَتْهَا وَلا أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ**)، قَالَ

نَافِعٌ حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ (**مِنْ خَشِيشِ أَوْ خَشَاشِ الأَرْضِ**).

٥. ذكر أهل الفقه أن الإسلام حرّم حبس الحيوان لمجرد الزينة أو الاستمتاع، وإنما حلّل فقط لأغراض الطعام والفائدة.

أما عن الأسلوب الإسلامي في الذبح والذي يعيب الغربيون عنه أنه قاسي ويؤلم الحيوان فقد أثبتت البحوث الحديثة أنه أسلم وأنجع أسلوب يمنع تسمم الجثة من جهة ويقلل ألمها من جهة ثانية، ولا مجال لمقارنته من النواحي الصحية والبيئية والاقتصادية بأساليب أخرى للقتل كالسم والكهرباء والقنابل وغيرها.

فقد أثبت أن الدم الذي يخرج من الشريان المقطوع في الرقبة أثناء الذبح بالطريقة الإسلامية، والذاهب إلى الدماغ سيجعل الدماغ يطلب الدم فيضخ القلب الدم ولكنه لا يصل بسبب انقطاع الشريان، يستمر ذلك حتى يحصل للدماغ توقف فيموت الحيوان عندئذ لخروج دمه، كل ذلك يحصل بثوان معدودات. أما عن الألم فقد أثبت أنه يستغرق فقط ٣ ثوان ثم ينعدم عن الحيوان الإحساس به. هذه الطريقة تفسر لنا لماذا حرّم الإسلام الحيوانات المقتولة خنقاً ونطحاً وسقوطاً وغير ذلك، كما يفسر لماذا حرّم الدم نفسه للتناول كطعام كما كان يفعل أهل الجاهلية من العرب والأمم الأخرى. السبب طبعاً هو فساد الدم وتعفنه مما يؤدي لتلف صحة الشخص المتناول، وسنفصل هذا في كتاب الطب من هذه السلسلة.

وهكذا نجد رحمة الإسلام بالذبيحة إذ أوجد لها أقل الطرق إيلاماً، ومن هنا أكد رسول الله ﷺ على الذابح بأن يلتزم بعدة توصيات، كأن يحد سكينه ويرح ذبيحته ولا يجعل الحيوانات تنظر لبعضها عند الذبح وغير ذلك من التوصيات النبوية الرحيمة. ففي كتاب الصيد والذبائح وما يذبح من الحيوان (٣٦١٥)، عَنْ أَبِي الأَشْعَثِ عَنْ شَدَّادِ ابْنِ أَوْسٍ قَالَ ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**).

وصلى اللهم وسلم وبارك على خير البرية حسباً وأطهرهم نسباً، وأنقى من مشى على البسيطة قلباً وأحسنهم أدباً، خير من دعا ربه رغباً ورهباً، الذي أتته الجبال ذهباً فنأى وأبى، وخصّنا بشريعته القويمة وحَبَا، وعلى آله وصحبه الأتقياء النُجَبَا..

إلى اللقاء مع الكتاب القادم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أعمال للمؤلف

١. كتاب (**المنظار الهندسي للقرآن الكريم**)، دار المسيرة، عمان- الأردن، ط / ١، ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م.

٢. كتاب (**المنظار الهندسي للقرآن الكريم**)، دار المسيرة، عمان - الأردن، ط / ٢، ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٤م.

٣. كتاب (**أنت والأنترنت- جلّ ما تحتاجه من خدمات الشبكة العالمية-**)، دار الرشد، ط/١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٤. كتاب (**القرآن منهل العلوم**)، طبع الجامعة الإسلامية، بغداد، ط/١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٥. كراس (**مواصفات الفحوص المختبرية لأعمال الهندسة المدنية**)، مع مجموعة من المختصين، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٦. كتاب (**القوانين القرآنية للحضارات -النسخة المختصرة، ١٢٥ صفحة من القطع الصغير-**)، طبع ببغداد عام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧. سلسلة كتب (**ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية**- ١٥ جزءاً-)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

أ. التأريخ والآثار.

ب. المادة والطاقة.

ت. الفلك.

ث. الأرض.

ج. الرياح والسحب.

ح. المياه والبحار.

خ. النبات والإنبات.

د. الحيوانات والحشرات.

ذ. الطب.

ر. الصيدلة والأمراض.

ز. الوراثة والاستنساخ.

س. الجملة العصبية والطب النفسي.

ش. الأحلام والباراسايكولوجي.

ص. الاقتصاد والاجتماع.

ض. آخر الزمان.

٨. كتاب (القوانين القرآنية للحضارات – النسخة المفصلة، ٣٦٥ صفحة من القطع الكبير)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان..

٩. كتاب (تفصيل النحاس والحديد في الكتاب المجيد)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

١٠. عدة بحوث في مجال الهندسة المدنية منشورة في مجلات ومؤتمرات هندسية مرموقة داخل العراق وخارجه.

١١. عدة بحوث ومقالات في مجال الإعجاز القرآني منشورة في صحف ومجلات ومؤتمرات مرموقة داخل العراق.

١٢. عدة أعمال مرئية تلفازية وحاسوبية في محطات محلية وأخرى فضائية عربية.

مشاريع كتب للمؤلف

١. كتاب (استنباط الحلول من أسباب النزول)، قيد التأليف.

٢. كتاب جامعي عن المواد الهندسية، قيد التأليف.

٣. تصاميم شبكات الخدمات المائية والصحية، قيد الإعداد.

فهرس المحتويات

المقدمة ٣

الفصل الأول: التقسيم القرآني للحيوانات ٥

التقسيم القرآني للمواد ٦

الفصل الثاني: الحشرات ١٠

١- الذباب ١٠

٢- النمل ١١

٣- العنكبوت ١٣

٤- النحل ١٧

٥- الفراش: ١٨

الفصل الثالث: الحيوانات ٢٦

١- الهدهد ٢٦

٢- الجمال ٢٧

٣- الخيل ٣٢

الفصل الرابع: البيطرة ٣٥

١- الأنعام ٣٥

٢- لحم الخنزير ٣٦

٣- الكلب ٤٠

الفصل الخامس: الرفق بالحيوان ٤٣

أعمال للمؤلف ٤٦

فهرس المحتويات ٤٨